العنوان:	نظرة على ما هية البارئ تعالى في ضوء النظريات القديمة والحديثة
المصدر:	البعث الإسلامي
الناشر:	مؤسسة الصحافة والنشر - مكتب البعث الإسلامي
المؤلف الرئيسي:	الأزهري، محمد شهاب الدين الندوي
المجلد/العدد:	مج 47, ع 7
محكمة:	لا
التاريخ الميلادي:	2002
الشهر:	مايو - ربيع الثاني
الصفحات:	8 - 12
رقم MD:	150891
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	IslamicInfo
مواضيع:	القرآن الكريم ، الذات الإلهية ، ابن حزم ، علي بن أحمد ، ت. 456 هـ، الأدلة الشرعية ، الأدلة العقلية ، الشرك ، الرازي ، محمد بن زكريا ، ت. 313 هـ، الفلسفة الإسلامية ، علم الكلام ، الإيمان بالله
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/150891

© 2024 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

للإستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب إسلوب الإستشهاد المطلوب:

إسلوب APA

الأزهري، محمد شهاب الدين الندوي. (2002). نظرة على ما هية البارئ تعالى في ضوء النظريات القديمة والحديثة.البعث الإسلامي، مج 47, ع 7 ، 8 - 12. مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/150891

إسلوب MLA

الأزهري، محمد شهاب الدين الندوي. "نظرة على ما هية البارئ تعالى في ضوء النظريات القديمة والحديثة."البعث الإسلاميمج 47, ع 7 (2002): 8 - 12. مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/150891

© 2024 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

نظرة على ماهية البارئ تعالى
في ضوء النظريات القديمة والحديثة

[١]

بقلم : فضيلة الأستاذ محمد شهاب الدين الندوي
الأمين العام للإكاديمية الفرقانية ، بنظور – الهند * (تعريب : الأخ محمد وثيق الندوي)

مزاعم ابن حزم الادعائية :

إن من أشد المواقف التي اتخذها المنكرون لجسمانية الله تعالى موقف ابن حزم الظاهري الأندلسي [م/٤٥٦هـ] الذي رد ردا شديدا على القائلين بأن لله سبحانه وتعالى جسما ، وحتى تجرأ على القول بأن مثل هذه الدعاوي كفر وشرك ، ومن تصلبه أنه ينعى على الذين يخالفون وجهات نظره بأقسى الكلمات في أغلب الأحيان ، وربما يصفهم بالجهل ، ويدعى بأن كل ما يقوله هو حق ، فكل ما قاله ابن حزم بشأن "ماهية" البارئ تعالى باسم الأدلة ، و هو دعاوى مصطنعة مزيفة ، أساسها أنه إن سلمنا أن الله تعالى جسم ، يلزم منه أنه "حادث" لابد لوجوده من فاعل و محدث ، و يلزم من ذلك وجود إلهين ، فلذا لابد لله تبارك وتعالى من أن لا يكون له جسم ، لأن من يكون جسما لا يكون إلها ، ومن الواضح أن هذا الاستدلال مدهش وغريب ، ومما يزيد الطين بلة ، أنه اعتبر (ابن حزم) الأدلة العقلية المزعومة أصلا ، ورفض جميع النصوص القرآنية التي تدل على يد الله تعالى ، وعينيه ، و وجهه ، و أعضائه الأخرى ، وقال : "لجميع هذه النصوص القرآنية وجوه ظاهرة بينة" ؛ كأنها غير صالحة للاستدلال بها ، فالاستدلال على جسمانية الله تعالى فاسد ، وابن حزم يعرف بـ "الظاهري" الذي لا يرى التأويل في النصوص .

على كل ؛ إن الدليل الذي يقدمه ابن حزم بهذا الخصوص هو أننا إذا اعتقدنا أن الله تعالى جسم ، افتقرنا إلى "فاعل" لا يكون جسما ، فلذا لن يكون

صانع الكون جسما ، وبهذا الاعتبار أهمل ابن حزم الأدلة الشرعية ، واعتبر الدلائل العقلية القديمة أصلاً يعتمد عليه ، فتناول دليلين للقائلين بجسم الله تبارك وتعالى بالبحث ؛ فقال : الدليل الأول الذي يستدل به على أن الله تعالى جسم ، وهو أنه لابدّ لشئ إما أن يكون جسماً أو عرضاً من الناحية العقلية (٥٤) ، ولما ثبت أن الله تعالى ليس عرضاً فيكون جسماً ، وثم لا يمكن أن يصدر أي فعل بدون فاعل ، فوجب بالضرورة أن يكون جسماً ، الدليل الثاني : و هو أن ذكر يد الله سبحانه ؛ و وجهه ؛ و عينيه ؛ وأعضائه الأخرى موجود في القرآن الكريم : فيثبت عقلاً ونقلاً ، أن الله تعالى جسم .

كان هذا الاستدلال للمعارضين ، ويكتب ابن حزم ردّاً على ذلك : "و لجميع هذه النصوص وجوه ظاهرة بينة ، خارجة على خلاف ما ظنوه وتأولوه ، وهذان الاستدلالان فاسدان ، أما قولهم أنه لا يقوم في المعقول إلا جسم أو عرض ، وكلاهما يقتضى بطبيعته وجود محدث له (٥٥) ، فبالضرورة نعلم أنه لو كان محدثها جسماً أو عرضاً لكان يقتضى فاعلاً فعله (٥٦) ، ولا بدّ ، فوجب بالضرورة أن فاعل الجسم والعرض ؛ ليس جسماً ؛ و لا عرضاً ، وهذا برهان يضطر إليه كل ذي حس بضرورة العقل ، ولا بد ، وأيضاً فلو كان البارئ – تعالى الله عن إلحادهم – جسماً لاقتضى ذلك ضرورة أن يكون له زمان ومكان غيره ، وهذا إبطال التوحيد ، وإيجاب الشرك معه تعالى لشيئين سواه ، وإيجاب أشياء غير مخلوقة ، وهذا كفر (٥٧) .

ومن الواضح أن هذه الأدلة قديمة مصطنعة ، وأساس كل هذا الفساد هو بحث الجسم و العرض الذي نشأ من جرّاء رؤية "تماثل الأجسام" المهملة ، و بناءاً على ذلك قد قرر الفلاسفة القدامى الكون كله مجموعةً للجوهر والعرض ، وهذه الدعوى بلا دليل ، وأن الإنسان لا يعلم عن حقيقته شيئاً – كما مضى فيما سبق من الصفحات السابقة – وأن هذا العالم للعناصر والجواهر "متحف" و الذي يشتمل في آخر تحليله على مجموعة لعدة ذرات كهربائية ؛ أو موجات

كهربائية ، وليس من الممكن أن يقال لهذه الموجات "أجسام" ؛ ولا "أعراض" ؛ لأن المادة تفقد ثنويتها في آخر المطاف ، وتقتصر على الموجات البرقية فقط بدل الجسم والعرض ، وهكذا تفقد ماديتها ، ولا يبقى فيها أي أثر "للصورة الجسمية" و "الهيولى" (٥٨) ، وفوق ذلك لا تبدو هذه الموجات للناظر إليها ، بل لا يمكن إدراك وحدة (جوهر فرد أو ذرة) للمادة نفسها ، بالأبصار فقط ، لأنه توجد في أصغر ذرة مادية ترى بالأبصار فقط مليار ذرة على الأقل ، ويمكنك بذلك أن تقدر أقصى صغر "الجوهر الفرد" ؛ فهل من المعقول أن يجعل الله تعالى شيئا بسيطا كالجوهر ؟ – نعوذ بالله من ذلك – وثم كيف وأين يبقى وجوده ؟ لا يستطيع أحد أن يرد على هذا السؤال ، بل والفلسفة و الكلام كلاهما لزما الصمت بشأن هذه المسألة ، ولم يقولا شيئا ، كما قال الشاعر أكبر إله آبادي : "قد كثرت و تضخمت البحوث والتدقيقات الفلسفية ، ولكن المسألة المتعلقة بالذات الإلهية لم تزل ولا تزال على ما كانت عليه في بداية الأمر .

هذه حالة مادتنا المعروفة والمعلومة التي هي أمام عيوننا ، لكننا لم ننجح حتى الآن في إدراك كنهها وسبر أغوارها ، فكيف يمكننا أن نقوم ببت الحكم بشأن عالم الملكوت ؟ أي ما هي كيفية العالم الذي يختفى عن أنظارنا كليا ؟

دعوى أخرى لابن حزم :

ينكر ابن حزم أشد الإنكار أن الله تعالى جسم أو عرض ، كما يقول : "فقد قام البرهان أنه تعالى ليس جسما ولا عرضا (٥٩) ، والدعوى بقيام البرهان على أن الله تعالى ليس جسما باطلة جدا ، لأنه احتمال قياسي فقط ، لا يعد من قبيل البرهان ، لأن البرهان يقوم أساسه على اليقينيات لا على الوهميات ، فمن أجل هذا الاستدلال الخادع لا يبقى الله تعالى شيئا رأسا ، وكأن وجوده وعدمه كلاهما متساويان – استغفر الله – .

في الحقيقة ليس من الممكن لأحد أن يفترض نظرية بشأن الأشياء المتعلقة بما وراء الحس أو ما بعد الطبيعيات اعتمادا على القياس فقط ، ثم يتخذ بموجبها

قراراً نهائياً أو يجعلها برهاناً ، لأن الإنسان لا يعلم عن حقيقة هذه المظاهر شيئاً ، بل هو جاهل بحت ، فيقول العلامة ابن خلدون بهذا الصدد : وأما ما كان منها من الموجودات التي وراء الحس ، وهي الروحيانيات ، ويسمونه العلم الإلهي ، وعلم ما بعد الطبيعة ، فإن ذواتها مجهولة رأساً ، ولا يمكن التوصل إليها ، ولا البرهان عليها (٦٠) .

تأويلات الإمام الرازي :

إن الإمام الرازي عالم جليل كالإمام الغزالي ، والذي كان ماهراً وبارعاً في الفلسفة والكلام ، ومؤلفاً كبيراً ، ويعتبر تفسيره "الكبير" عملاً جليلاً في موضوعه ، ولكنه أيضاً – سامحه الله – وقف من وجود البارئ تعالى نفس الموقف الذي وقفه الإمام الغزالي ، وابن حزم ، وهو يقدم في كتابه : "الأربعين في أصول الدين" ثمانية دلائل على أن الله "ليس بمتحيز"، و هذه الأدلة الثمانية أيضاً مزيفة تافهة ركيكة ، وتتلخص فيما يلي :

١– كل شئ ذي جهات مقسّم ، و كل مقسّم يمكن وجوده (فليس من الممكن وجود البارئ تعالى) .

٢– كل متحيز حادث ، وإن كان البارئ تعالى متحيزاً كان حادثاً.

٣– كل متحيز يحمل مقداراً محدوداً ، وكل شئ محدود القدر يكون حادثاً ، فلن يكون الله تعالى ذا مقدار محدود .

٤– كافة الأشياء المتحيزة أو ذات الجهات تكون متساوية مماثلة في ماهيتها ، فلو كان الله متحيزاً لكانت ماهيته أيضاً كالأشياء الأخرى ، وفي هذا الشكل يحتاج إلى مرجح ومخصص ، وهذا أمر محال (٦١) .

أما بقية الدلائل ؛ فهي من هذا النوع ، ومحصول هذه الأدلة أنه لا ينبغي أن يكون الله تعالى جسماً كأجسام مظاهر الكون أو موجودات العالم ، ولا محدوداً ، وليس محصوراً في جهة أو متحيزاً في مكان ، و لكن المقصود بهذه المناسبة ليس كشفاً عن أن الشئ الذي ليس بجسم ،

و لا عرض ، ولا ذي جهات ، ولا هو متحيز ، فما هو إذن في ماهيته في نهاية الأمر ؟ وكيف يمكن أن يقال له : إنه "ليس بمحدود" ؟ هل يمكن من وجهة النظر الفلسفية أن يوجد في عالمنا شئ لا يتصف بجسم ، ولا عرض بتاتا ؟ ولم يجب أحد من الفلاسفة و المتكلمين عن هذا السؤال حتى الآن ، بل إنهم جميعا يركضون ركائب العقل ، ويقدمون الدليل تلو الدليل لإنكار جسمانية الله تعالى ، و فوق ذلك لا يهتم أحد منهم بالتوجيهات والتصريحات الإيجابية الواردة في الكتاب و السنة بخصوص الذات الإلهية ، و لا يقيم لها أي وزن ، كأن تصريحات خالق الكون لا تحمل أي أهمية ، و لا لها أي قيمة ، أو وزن ، و من الواضح أن الله أصدق القائلين : ﴿ و من أصدق من الله حديثا ﴾ [النساء/٨٧] ، و ﴿ عالم الغيب * والشهادة الكبير المتعال ﴾ [الرعد/٩] ، وجاء في موضع آخر : ﴿ عالم الغيب * فلا يظهر على غيبه أحدا * إلا من ارتضى من رسول ﴾ [الجن/٢٦-٢٧] .

فبهذا الاعتبار لم يظهر الله على الغيب أحدا إلا من شاء من رسول ، فيجب الإيمان بما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الشأن بدون أي سؤال ، والتخبط والتنبؤ بغير دليل أو مشاهدة بمثابة "الرجم بالغيب" ، وهذا لا يجوز في المسائل التي تتعلق بالذات الإلهية .

---

(٥٤) المراد من "عرض" الشئ الذي يحتاج لبقاء وجوده إلى مكان ، كاللون والطعم والراحة وما إلى ذلك ، فلابد لبقاء هذه الأعراض من وجود "جسم" .

(٥٥) المبدع ؛ الصانع والخالق .

(٥٦) الفاعل .

(٥٧) الفصل في الملل والأهواء والنحل ؛ ابن حزم : ج/٢ ، ص/١١٧ ، دار الفكر، سنة ١٩٨٠م.

(٥٨) بمعنى : "المادة" .

(٥٩) الفصل في الملل والأهواء والنحل ؛ ابن حزم : ج/٢، ص/١١٧، دار الفكر، سنة ١٩٨٠م .

(٦٠) مقدمة ابن خلدون : ج/٢ ، ص/٢١٢ ، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت ، سنة ١٩٩٤م .

(٦١) خلاصة "الأربعين في أصول الدين" : ص/١٤٩-١٥٠ ، مكتبة الكليات الأزهرية – مصر .